مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد،

فإن فكرة الكتابة فى موضوع القرابين البشرية قد نبتت فى رأسى وجالت بخاطرى، إبان دراستى لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) حيث كان موضوعها "تأثر اليهودية بالأديان الوثنية القديمة"[١].

وبينما كنت أبين مظاهر هذا التأثر[٢]، راعنى ما اطلعت عليه من أن اليهود فى اندفاعهم الأهوج نحو الوثنية، وضعفهم الشديد أمام طقوسها، قد بلغ بهم تقليدهم للوثنيين، وتأثرهم بهم، أن قذفوا بأبنائهم وبناتهم أفلاذ وفلذات أكبادهم إلى نيران الآلهة الوثنية، حيث كانوا يقومون بإحراقهم، ويقدمونهم قرابين بشرية لآلهة الوثنيين من الشعوب[٣] الذين كانوا محيطين بهم ومجاورين لهم، والذين خالطوهم واتصلوا بهم، وانصهروا فيهم، وانغمسوا فى مستنقعات وثنيتهم، ومارسوا طقوسهم، وعبدوا آلهتهم.

---

(١) رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا أغسطس ١٩٨٧م. وتم نشرها فى كتاب بعنوان: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية دار البشير للثقافة والعلوم الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٢) قمت ببيان مظاهر تأثر اليهودية بالأديان القديمة فى تأليف الأسفار وتدوين الكتب وفى القصص الدينى والأساطير وفى العقائد (راجع الباب الثالث من الرسالة المذكورة ص ٤٥١ ـ ٧٠٢).

(٣) لمعرفة هؤلاء الشعوب الوثنية وأديانهم ومدى اتصال اليهود بهم وتأثرهم بوثنيتهم راجع الباب الأول والثانى من الرسالة المذكورة.

والعجيب أننى وجدت نصوص أسفارهم، تحرم عليهم تقديم هذه القرابين، وتحذرهم من ممارستها، وتتوعدهم بغضب الرب سبحانه وسخطه عليهم إن أقدموا على ارتكابها، وتبين لهم أن من يفعل ذلك يكون قد عصى الرب، ويستحق أن تنفذ فيه عقوبة القتل حيث يقوم الناس برجمه والقضاء عليه.

لكن اليهود ـ كما ورد فى أسفارهم أيضًا ـ قاموا بارتكاب جريمة القرابين البشرية وخاصة فى عصر الانقسام واشترك فى ذلك الملوك والشعب على السواء ـ متأثرين فى هذا بالوثنيين ومقلدين لهم.

من أجل هذا فإننى بعد أن اختمرت الفكرة فى ذهنى، وأردت أن أكتب عن القرابين البشرية عند اليهود، وجدت أنه لابد أن أتحدث عنها أولاً عند الوثنيين الذين تأثروا بهم أو ببعضهم فخصصت الباب الأول لبيان نشأة ومظاهر تقديم القرابين البشرية عن الوثنيين، وجعلت الباب الثانى لدراسة القرابين البشرية والذبائح التلمودية عن اليهود.

ولما كان موضوع القرابين البشرية غير مألوف لكثير من القراء والباحثين، وجدت أنه من الضرورى أن أتحدث باختصار عن القرابين بشكل عام فى مدخل الكتاب للتفريق بين القرابين البشرية وغيرها من القرابين الحيوانية والنباتية.

ففى هذا المدخل بينت معنى القربان فى اللغة، والمقصود بما ورد منه فى القرآن الكريم، ثم تحدثت عن اعتقاد الوثنيين أن الآلهة تنال وتتغذى من قرابينهم، وضربت أمثلة على ذلك بما كان يحدث فى بلاد الرافدين ومصر القديمة، ثم تحدثت عن اعتقاد اليهود أن الله ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا ـ ينال من قرابينهم وخاصة المحرقات منها، وينتعش من رائحة الدخان الذى يتصاعد من حرقها.

وكان لابد لنا أن نبين كيف قضى الإسلام على هذه المعتقدات الفاسدة وأن نبرز بوضوح وإيجاز صورة الأضحية فى الإسلام.

وأما الباب الأول فهو بعنوان "نشأة القرابين البشرية ومظاهر تقديمها عند الوثنيين وموقف الإسلام منها".

ويشتمل هذا الباب على ثمانية فصول:

فى الفصل الأول تحدثت عن نشأة القرابين البشرية ومظاهر تقديمها عند الوثنيين، فتعرضت للآراء المختلفة التى بحثت فى نشأة هذه القرابين، وخاصة التى ترى أن الإنسان بدأ حياته التعبدية بتقديم القرابين البشرية، ثم بعد أن تهذبت طباعه، ورقت مشاعره، استبدل بها القرابين الحيوانية والنباتية.

فبينت فساد هذه النظرة وخطأ القائلين بها، واعتمادهم فيها على نظرية التطور فى العقائد والشعائر، ثم بينت بعض المظاهر والطقوس التى كان يتم بها تقديم القرابين البشرية واختلافها باختلاف الشعوب والمناسبات.

ومن الفصل الثانى إلى الفصل السابع تحدثت عن القرابين البشرية عند الوثنيين: فى الفصل الثانى عند السومريين والبابليين وفى الثالث عند المصريين القدماء، وفى الرابع عند الهنود القدماء، وفى الخامس عند الكنعانيين والعمونيين والمؤابيين، وفى السادس عند اليونانيين والرومانيين، وفى السابع عند العرب فى الجاهلية.

وأما الفصل الثامن والأخير فقد بينت فيه موقف الإسلام من نذر وتقديم القرابين البشرية من خلال فتاوى الفقهاء من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن نذر أن ينحر نفسه، أو يذبح ابنه، مستشهدًا على غلظ تحريم قتل النفس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومبينًا ارتباط هذه الفتاوى برؤيا الخليل إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، ثم نسخه الله عنه بالفداء العظيم.

وبينت التحقيق فى مسألة نسخ الحكم قبل التمكن من فعله، والحكمة فى

ذلك وكيف أن الله أمر بالذبح ولـم يرد وقوعه، ومدى ارتباط ذلك بالقضاء على ظاهرة القرابين البشرية التى كانت منتشرة فى عصر الـخليل إبراهيم عليه السلام[1].

وإذا كان الكتاب كما هو واضح من عنوانه ينقسم إلى قسمين:

قسم عن القرابين البشرية، وقسم عن الذبائح التلمودية.

فالقرابين البشرية مشتركة عند الوثنيين واليهود وأما الذبائح التلمودية فهى خاصة باليهود ومقصورة عليهم.

ولذلك جاء الباب الثانى بعنوان "القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند اليهود فى العهد القديم وفى عصر التلمود".

ويشتمل هذا الباب على ستة فصول:

الفصل الأول: عن العهد القديم وتـحريم القرابـين البشريـة، حيث تـحدثنا عن الـمراد بالعهد القديم، ومتى أطلق، واختلاف اليهود والنصارى فى تقسيم وترتيب وعدد أسفاره، ثم تـحدثنا عن تـحريم التوراة التى بأيدى اليهود للقرابين البشرية.

والفصل الثانى: عن ارتكاب اليهود لجريمة القرابين البشرية، وتنديد أنبياء العهد القديم بهم، فتحدثت عن قيام أحد قضاتهم (يفتاح) بذبح ابنته وتقديمها قربانًا بشريًا للرب، وعن قيام ملوك وشعوب يهوذا وإسرائيل (مملكتى الجنوب والشمال) بتقديم القرابين البشرية مقلدين للوثنيين ومتأثرين بطقوسهم، وعن قيام أنبياء العهد القديم بالتنديد بهم والنعى عليهم، والتحذير لهم من غضب الرب وانتقامه لارتكابهم هذا الجرم الشنيع.

---

(١) كان التعرض لقصة الخليل عليه السلام ضروريًا فى هذا البحث حيث أجمع الفقهاء على أن من نذر نحر نفسه أو ذبح ابنه إنما يعد ذلك معصية ينبغى الاستغفار منها والتكفير عنها، فكان لابد من الإجابة على هذا السؤال: ما هى الحكمة من أمر الله للخليل أن يذبح ابنه رغم أن ذلك فى حق غيره يعد معصية.

وفى الفصل الثالث تحدثت عن التلمود ودوره فى قيام الذبائح التلمودية من خلال ما فيه من حث اليهود على ذبح الآدميين من غيرهم واستنزاف دمائهم ومزجها بعجين فطائرهم فى أعيادهم ومناسباتهم الدموية المقدسة.

وفى الفصل الرابع تحدثت عن مراسم وطقوس وطرق استنزاف اليهود للدم البشرى من غيرهم فى مناسباتهم الدينية والدموية.

وفى الفصل الخامس تحدثت عن أشنع الحوادث، وأبشع الجرائم التى ارتكبها اليهود فى استنزاف دماء غيرهم من خلال أشهر ما سجله التاريخ عن الذبائح التى وقعت فى الغرب والشرق وركزت على حادثتين من أشنع هذه الحوادث.

الأولى حادثة مقتل الطفل "هنرى عبد النور" سنة ١٨٩٠م وقيام حبيب فارس بتأليف كتابه "صراخ البرىء فى بوق الحرية والذبائح التلمودية" ونشره عام ١٨٩١م والذى رجعت إليه ونقلت عنه تصويره لهذه الحادثة وتعليقه عليها ومتابعته لها ورصده لكثير من الذبائح التلمودية فى الشرق والغرب.

والحادثة الثانية الخاصة بمقتل الأب توما وخادمه المسلم إبراهيم عمار التى وقعت فى دمشق عام ١٨٤٠م والتى اتهم فيها ستة عشر شخصًا وقدموا لمحاكمة شهيرة نصوصها موجودة فى سجلات المحاكم بوزارة العدل بدمشق ونقل وقائعها كاملة عدد من المؤرخين الغربيين ونقلت كثيرًا من نصوصها عن كتاب شارل لوران فى القسم الثانى من كتاب "الكنز المرصود فى قواعد التلمود" الذى طبع سنة ١٨٩٩م بالقاهرة ثم نفذت نسخه وأصبحت فى حكم المخطوط النادر حتى قامت دار القلم بدمشق بطبعه سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

وقد تضمنت هذه المحاكمة اعترافات عدد من الحاخامات وغيرهم من المتهمين عن هذه الجريمة وعن أسرار استنزاف اليهود للدم البشرى، وسيرى القارىء

كيف أن المحكمة أصدرت حكمًا بإدانة المتهمين وإعدام عدد منهم، لكن هذا الحكم حيل دون تنفيذه، وكان ذلك فى عهد محمد على باشا وسيتبين لنا دوره فى ذلك.

وفى الفصل السادس تعرضت لمحاولة اليهود إنكار هذه الجرائم وإبطال هذه المحاولة وبيان مدى ثبوت هذه الجرائم عليهم من خلال آراء العلماء والباحثين، واعترافات الحاخامات والمؤرخين.

وفى نهاية الكتاب أثبت نص كتاب "إظهار سر الدم المكتوم" للحاخام ناوفيطوس الذى تحول إلى المسيحية وألف هذا الكتاب ليفضح فيه أسرار اليهود، ويهتك أستارهم، فى كشف طريقة استنزاف دماء الأطفال الجارية عندهم.

والحقيقة أن موضوع هذا الكتاب مثير للغاية. ويبعث فى نفس قارئه مزيجًا من الأحاسيس والمشاعر: ما بين دهشة وتعجب، وغضب وتألم، ورفض واستنكار، وحزن واستياء، ولا أريد فى هذه المقدمة أن أفرض على القارئ شعورًا معينًا، وإنما أدعه يقدم على قراءته مباشرة دون تدخل منى، حيث أمسكت عن إبداء مشاعرى الخاصة واكتفيت ببيان الخطوط الأساسية والمعالم العامة.

ونظرًا لجدة البحث فى هذا الموضوع من ناحية، وغرابته على القارئ وعدم إلفه له من ناحية أخرى فإننى أعتقد أنه يستوجب بعض النظر والتدقيق، ويحتاج إلى شىء من الإضافة والتنقيح، وأرجو أن يتيسر لى ذلك فى الطبعة القادمة بإذن الله، على ضوء ما يتسنى لنا الرجوع إليه، وعلى أمل الانتفاع بنصائح وتوجيهات أساتذتى العلماء، والاستفادة من آراء القراء ونقود الزملاء الباحثين.

وأحمد الله أولاً وأخيرًا وأسأله سبحانه أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنبت.

إنه نعم المولى ونعم المصير.

فتحى محمد الزغبى

طنطا فى جمادى الأولى ١٤١٠هـ

ديسمبر ١٩٨٩م

المدخل

ويشتمل على:

* معنى القربان فى اللغة والمقصود بها ورد منه فى القرآن الكريم.

* القرابين عند اليهود.

* اعتقاد الوثنيين أن الآلهة تنال وتتغذى من قرابينهم.

* اعتقاد اليهود أن الله ينال من قرابينهم.

* قضاء الإسلام على معتقدات الوثنيين واليهود.

معنى القربان فى اللغة والمقصود بما ورد منه فى القرآن الكريم

معنى القربان فى اللغة:

القرابين جمع مفرده قُربان وجاء فى القاموس المحيط أن القربان بالضم هو ما يتقرب به إلى الله تعالى، تقول تقرب تقربًا وتقرابًا (بكسرتين) أى طلب القربة به[١].

وورد فى لسان العرب أن القربان هو ما قرب إلى الله عز وجل وتقربت به تقول: قربت لله قربًا وتقرب إلى الله بشىء أى طلب به القربة عنده تعالى.

ونقل عن الليث قوله إن القربان هو ما قربت إلى الله تبتغى بذلك قربة ووسيلة[٢].

ورود كلمة قربان فى القرآن الكريم والمقصود منها:

يذكر الراغب الأصفهانى أن القربان هو ما يتقرب به إلى الله وصار فى التعارف اسمًا للنسيكة التى هى الذبيحة[٣].

وقد وردت كلمة "قربان" فى القرآن الكريم ثلاث مرات فى ثلاث آيات[٤]: ففى الآية الأولى يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا

(١) القاموس المحيط طبعة الحلبى ١٩٥٢ جـ ١ ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٥ مادة قرب طبعة دار المعارف.

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٩٩ باب القاف طبعة مصطفى الحلبى تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبد الباقى دار ومطابع الشعب وانظر أيضًا معجم ألفاظ القرآن الكريم طبع مجمع اللغة العربية ـ القاهرة.

فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

لقد بين الله سبحانه أن ابنى آدم(٢) قدما قربانًا وأن أحدهما قد تقبل منه ولم يتقبل من الآخر، دون أن يكون هناك نص صريح فى سبب التنازع والخلاف بينهما ولذلك فإن للمفسرين فى سبب وقوع المنازعة بين ابنى آدم قولين أحدهما:

أن هابيل كان صاحب غنم، وقابيل كان صاحب زرع، فقرب كل واحد منهما قربانًا فطلب هابيل أحسن شاة كانت فى غنمه وجعلها قربانًا، وطلب قابيل شرحنطة فى زرعه فجعلها قربانًا، ثم تقرب كل واحد بقربانه إلى الله فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل ولم تحمل قربان قابيل، فعلم قابيل أن الله تعالى قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقصد قتله.

والقول الثانى: ما روى أن آدم عليه السلام كان يولد له فى كل بطن غلام وجارية وكان يزوج البنت من بطن بالغلام من بطن آخر، فولد له قابيل وتوأمته، وبعدهما هابيل وتوأمته، وكانت توأمة قابيل أحسن الناس وجهًا، فأراد آدم أن يزوجها من هابيل، فأبى قابيل ذلك وقال أنا أحق بها، وهو أحق بأخته، وليس هذا من الله تعالى وإنما هو رأيك، فقال آدم عليه السلام لهما: قربًا قربانا فأيكما قبل قربانه زوجتها منه، فقبل الله تعالى قربان هابيل بأن أنزل الله تعالى على قربانه نارًا، فقتله قابيل حسدًا له(٣).

ونقل ابن كثير القول الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما وبين أنه يقتضى أن

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) سنفرد بإذن الله وعونه لقصة ابنى آدم بحثًا خاصًا بها حول ورودها فى سفر التكوين وبيان القول الحق فيها من القرآن الكريم.

(٣) راجع تفسير الفخر الرازى المسمى بمفاتيح الغيب جـ ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربى بيروت.

تقريب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارئ فى امرأة كما تقدم، وهو ظاهر القرآن (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك. قال إنما يتقبل الله من المتقين)، فالسياق يقتضى أنه إنما غضب عليه وحسده بقبول قربانه دونه[1].

ثم إن المشهور ـ كما يقول ابن كثير أيضًا ـ عند الجمهور أن الذى قرب الشاة هو هابيل وأن الذى قرب الطعام هو قابيل وأنه تقبل من هابيل شاته حتى قال ابن عباس وغيره إنها الكبش الذى فدى به الذبيح وهو مناسب والله أعلم ولم يتقبل من قابيل، كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف وهو المشهور عن مجاهد أيضًا، ولكن روى ابن جرير عنه أنه قال الذى قرب الزرع قابيل وهو المتقبل منه وهذا خلاف المشهور ولعله لم يحفظ عنه جيدًا والله أعلم[2].

وفى الآية الثانية يقول الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[3].

فى هذه الآية يبين الله تبارك وتعالى أن الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هؤلاء الذين فعلوا ذلك وأهلكهم الله هلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين عبدوهم واتخذوهم من دون الله آلهة وزعموا أنهم متقربون بعبادتهم إلى الله ليشفعوا لهم بل ضلوا عنهم أى غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى أن كون آلهتهم ناصرين لهم أمر ممتنع.

ثم قال تعالى (وذلك إفكهم) أى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم إثر إفكهم الذى هو اتخاذهم إياهم آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب ثم

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٤٣ دار التراث ـ القاهرة.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الأحقاف: ٢٨.

قال (وما كانوا يفترون) والتقدير وذلك إفكهم وافتراؤهم فى إثبات الشركاء لله تعالى[1].

وفى الآية الثالثة يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2].

يذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت فى بعض اليهود حين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا له: أتزعم أن الله أرسلك إلينا وأنه أنزل علينا كتابًا عهد إلينا فيه ألا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك[3].

يذكر الطبرى أنهم قالوا "حتى يأتينا بقربان تأكله النار" لأن أكل النار ما قربه أحدهم لله فى ذلك الزمان كان دليلاً على قبول الله منه ما قرب له، ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال[4]، ونقل عن بعض الآثار أن الرجل كان إذا تصدق بصدقة فتقبلت منه، بعث الله نارًا من السماء فنزلت على قربان فأكلته[5].

وقد رد المفسرون على هذا الادعاء الوارد فى الآية الكريمة من اليهود بقولين:

الأول: أن ما ورد فى التوراة كان "من جاءكم يزعم أنه نبى فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار إلا المسيح ومحمدًا عليهما السلام، فإنهما إذا أتيا فآمنوا بهما فإنهما يأتيان بغير قربان تأكله النار[6].

---

(١) راجع تفسير الفخر الرازى جـ ٢٨ ص ٣٠ وتفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٨٧ نشر دار المصحف بالأزهر ـ القاهرة.

(٢) آل عمران: ١٨٣.

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٩ ص ١٢١ تفسير القرطبى جـ ٤ ص ٢٩٥ نشر دار الكتاب العربى نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ١٩٦٧م.

(٤) تفسير الطبرى جـ ٧ ص ٤٤٨ نشر دار المعارف تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر الطبعة الثانية.

(٥) المصدر السابق جـ ٧ ص ٤٤٩ تفسير الفخر الرازى جـ ٩ ص ١٢١ تفسير الألوسى جـ ٤ ص ١٤٤ نشر دار التراث بالقاهرة.

(٦) تفسير القرطبى جـ ٤ ص ٤٩٥ التفسير الكبير جـ ٩ ص ١٢١.

الثانى: أنه قيل إن أمر القرابين كان ثابتًا إلى أن نسخت على لسان عيسى بن مريم، فقد بقيت قائمة إلى مبعثه فلما بعث ارتفعت وزالت[1].

ورد الله عليهم فقال تعالى لنبيه ﷺ [قل يا أيها النبى للقائلين: إن الله عهد إلينا] ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات، يعنى: بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم = وبالذى قلتم "يعنى: وبالذى ادعيتم أنه إذا جاء به لزمكم تصديقه والإقرار بنبوته، من أكل النار قربانه إذا قرب لله دلالة على صدقه = فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بأن الذى جاءوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم = "إن كنتم صادقين، فى أن الله عهد إليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته"[2].

وبذلك فقد ظهر سقوط شبهة الطاعنين فى نبوته ﷺ والتى يقولون فيها إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وأنت يا محمد ما فعلت ذلك فوجب أن لا تكون من الأنبياء، وثبت أن هذا القول دعوى من اليهود، إذ كان ثم استثناء فأخفوه، أو نسخ، فكانوا فى تمسكهم بذلك متعنتين، ومعجزات النبى ﷺ دليل قاطع فى إبطال دعواهم وكذلك معجزات عيسى، ومن وجب صدقه وجب تصديقه[3].

وإذ كان المفسرون قد ذكروا أن اليهود فى قولهم "ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار" إنما أرادوا شيئًا كان شائعًا عندهم، وهو أن يذبح القربان من النعم أو غيرها فيوضع فى مكان معين فتأتى نار بيضاء من السماء لها دوى فتأخذه أو تحرقه، إذا كانوا قد ذكروا ذلك فإن الشيخ محمد رشيد رضا يرى أن هذا من الإسرائيليات وأن اليهود كانوا يلقون إلى المسلمين أخبارًا من خرافاتهم أو

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٤٤٩ روح المعانى جـ ٤ ص ١٤٤.

(٣) راجع تفصيل ذلك فى التفسير الكبير جـ ٩ ص ١٢٠ ـ ١٢٣ وتفسير القرطبى جـ ٤ ص ٢٩٦.

مخترعاتهم ليودعوها كتبهم ويمزجوها بدينهم، وأنهم كانوا يوقدون النار بأيديهم ويحرقون بها المحرقات[1].

وينقل عن الإمام محمد عبده تعليقه على ما قاله المفسرون بقوله: ويجوز وهو الأظهر أن يكون معنى (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) أن يفرض علينا تقريب قربان يحرق بالنار فقد كان من أحكام الشريعة عندهم أن يحرقوا بعض القربان، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يرد عليهم فقال (قل قد جاءكم فى زعمكم أنكم لا تؤمنون بى لأنى لم آمر بإحراق القرابين، أى إنكم لم ترضوا بعصيان أولئك الرسل فقط بل قسوتم عليهم وقتلتموهم[2].

وهذا يقتضينا أن نشير إلى القرابين عند اليهود ونتعرف عليها من خلال أسفارهم.

---

(١) راجع تفسير المنار جـ ٤ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

القرابين عند اليهود

جاء فى قاموس الكتاب المقدس أن القربان كان جزءًا هامًا من عبادة العبرانيين بل إنه رافق عبادتهم منذ نشأتها وأن أول عبادة ذكرت فى التوراة كانت بالقرابين وهى عبادة قابيل وهابيل[١].

ويذكر زكى شنوده أن تقديم القرابين كان طقسًا رئيسًا فى عبادة اليهود فكانوا يقدمونها لله تعبيرًا عن اعترافهم بخطاياهم، أو تكفيرهم عنها، أو توبتهم عن ارتكابها، أو شكرهم لله، أو تكريس أنفسهم لخدمته، أو غير ذلك من الأسباب والأغراض[٢].

وقد ورد فى بعض الأسفار الخمسة نظام مفصل لتقديم القرابين، وقصر اليهود تقديمها على الكهنة وحدهم ويعاونهم اللاويون فى بعض الأمور[٣].

وكانت قرابينهم تشمل المحرقات والذبائح والرفائع والعشور والنذور، وكانوا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢١ تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين بإشراف الدكتور بطرس عبد الملك وآخرين منشورات مكتبة المشعل فى بيروت ١٩٨١م.

(٢) المجتمع اليهودى ص ١٨٥ نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.

(٣) راجع أسفار الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، والفرق بين الكهنة واللاويين أن الكهنة كانوا من نسل هارون فقط، وأما اللاويون فهم من نسل أو سبط لاوى بن يعقوب والذى منه موسى وهارون وكان اللاويون متوسطين بين الكهنة وسائر الشعب فلم يكن يجوز لهم كالكهنة أن يقدموا الذبائح وإنما كانوا مختصين بمساعدتهم فى الخدمة الدينية.
راجع تفاصيل ذلك فى قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١ ـ ٧٩٤، ٨٠٦ ـ ٨٠٨ المجتمع اليهودى ص ١٢٧ ـ ١٦١.

يقدمونها من الحيوانات المستأنسة الطاهرة ومن الحبوب كالقمح والشعير، ومن بعض السوائل النباتية كالزيت والخمر[1].

وكان من الذبائح نوع يقدم كله إلى الله، ونوع آخر يخصص قسم منه لله، والقسم الآخر للكهنة وحدهم، أو بالاشتراك مع العابدين الذين يقدمونها.

فكان النوع الأول الذى يقدم كله لله هو المحرقات جاء فى سفر اللاويين:

إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم إن كان قربانه محرقة من البقر... وإن كان قربانه من الغنم..... ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب[2].

وكان الشحم من كل الذبائح يقدم لله، جاء فى سفر اللاويين "ويقرب من ذبيحة السلامة وقودًا للرب الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين.

ويوقد بنو هارون على المحرقة التى فوق الحطب الذى على النار وقود رائحة سرور للرب[3].

وكان النوع الثانى هو الذبائح التى يقدمها الشعب احتفالاً بالعيد، كذبيحة السلامة، إذ كان الكاهن يأخذ منها الصدر فيردده أمام الله، والساق اليمنى التى يسمونها ساق الرفيعة، وأما الذى يتبقى من الذبيحة فيأخذه أصحابها الذين قدموها[4].

هذا وقد قضت شريعة اليهود بتقديم القرابين بأنواعها المختلفة، لتذكير اليهود بخطاياهم، وللتكفير عنها إرضاء لقداسة الله التى ترفض الخطيئة، ولكن اليهود

---

(١) راجع المجتمع اليهودى ص ١٨٥ ـ ١٨٦ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢١.
(٢) راجع سفر اللاويين: الاصحاحات الثلاثة الأولى الخاصة بالمحرقات من القرابين الحيوانية والنباتية.
(٣) اللاويين ٣: ٣ ـ ٥.
(٤) المجتمع اليهودى ص ١٨٨.

اتخذوها على العكس مبررًا لارتكاب الخطايا، ما داموا يستطيعون بالقرابين التكفير عنها واجتناب القصاص الذى تستوجبه، ناظرين إلى هذه الطقوس من ناحيتها الشكلية فحسب، معتقدين أن مجرد القيام بها يغنى عن الحكمة المقصودة من ورائها، ومن ثم أهملوا كل الواجبات الروحية والأدبية والإنسانية التى هى جوهر الدين[1].

وحينما أخذ الكهنة وعامة الناس ينظرون إلى القرابين من الناحية الطقسية فقط ويظنون أن الدين مجرد طقوس، قام الأنبياء المذكورون فى العهد القديم ينددون بهذا النقص[2] من أمثال صموئيل وأشعياء وهوشع وعاموس.

فهذا صموئيل يقول: لشاول الملك: هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب، هو ذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش!!. لأن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم[3]، لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك[4].

ويقول أشعياء "لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر،..... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لى،..... لست أطيق الإثم والاعتكاف. رءوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى، صارت على ثقلاً، مللت حملها، فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم، وإن كثرتم الصلاة لا أسمع، أيديكم ملآنة دمًا، اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى كفوا عن

---

(١) زكى شنوده: المجتمع اليهودى ص ١٩٩.

(٢) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢٣.

(٣) تطلق الترافيم على أصنام أو آلهة البيت وتكون صغيرة جدًا لسهولة حملها فى الهروب بسرعة ويمكن إخفاؤها، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٤) صموئيل الأول ١٥: ٢٢ ـ ٢٣.

فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة[1].

ويقول هوشع "إنى أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات" ويقصد هوشع ـ كما يقول متى هنرى ـ بالرحمة الصلاح والتقوى والطهارة فهى تمثل كل التدين العملى[2].

وجاء فى سفر عاموس "بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها، أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع، وليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم[3].

فقد تحدث عاموس فى سفره كثيرًا عن أعياد اليهود ومحافلهم المقدسة وعن المحرقات والتقدمات وذبائح السلامة والأغانى ونغم الرباب ورأى عاموس تدينًا كثيرًا فى كل مكان ذهب إليه، بينما التجار يستعملون موازين الغش فى الأسواق، والقضاة يأخذون الرشوة وأصحاب الأراضى يتقسمون على حساب العمال، وقد انتزعت المحبة والرحمة تمامًا، ولأجل ذلك كانت ديانتهم باطلة بل كانت تمردًا وعصيانًا ضد الله[4].

وهكذا كان اليهود يجعلون للطقوس الدينية ـ والقرابين بشكل خاص ـ الأهمية الأولى فى عبادتهم لله، مكتفين بناحيتها الشكلية، مع أن المقصود منها ـ فيما يقول زكى شنوده ـ أن تكون مجرد رموز أو مظاهر للعبادة الحقيقية، التى فى جوهرها اتجاه الروح نحو الله وحبها له، وخضوعها لمشيئته، ونزوعها إلى عفوه وغفرانه وتطلعها إلى درجة من الطهارة والقداسة تتيح لها أن تكون مستحقة لأن تقترب منه وتنال رضاءه.

---

(١) أشعياء ١: ١١ ـ ١٧.

(٢) تفسير هوشع ص ١٦٦ دار الثقافة ١٩٨٠م.

(٣) عاموس ٥: ٢١ ـ ٢٤.

(٤) القس عاموس عبد المسيح دراسة فى عاموس ص ١١٩ ـ ١٢١ ـ نشر دار الثقافة ١٩٧٩م.

ولكن اليهود قنعوا بالمظهر دون الجوهر، لأنهم اعتقدوا أن استيفاء المظهر كاف لتبرير خطاياهم وإعفائهم من عواقب آثامهم، وقد كانت الخطايا والآثام عزيزة عليهم بحيث كانوا عاجزين عن اجتنابها أو التخلى عنها، ولو أدى بهم ذلك إلى إغضاب ربهم، بل وإلى تجنبهم إياه وتخليهم عن عبادته، ولهذا السبب كانوا فى كل أطوار تاريخهم لا يعبدون الله وإنما يعبدون الأصنام[1].

(١) المجتمع اليهودى ص ٢١٦. ولمعرفة الاتجاه الوثنى عند اليهود ومدى تأثرهم بالوثنيين فى عقائدهم وعباداتهم راجع رسالتى للدكتوراه "تأثر اليهودية بالأديان القديمة" فهى تحتوى على اتصال اليهود بالشعوب الوثنية، وعوامل تأثرهم بالوثنية، ومظاهر هذا التأثر المتمثلة فى العقائد والقصص الدينى والأساطير، وتدوين الكتب وتأليف الأسفار.

اعتقاد الوثنيين أن الآلهة تنال وتتغذى من قرابينهم

هذا، وقد كان يعتقد قديمًا أن الآلهة المتقرب إليهم يستفيدون ماديًا من الضحايا والقرابين، حيث ساد الاعتقاد عند بعض الأمم أن الآلهة تنتفع فى غذائها بلحوم الأضاحى أو بلحوم بعض أعضائها.

ولذلك يحرم عند هذه الأمم أكل الناس منها جميعًا أو بعضها، واعتقد بعض الشعوب التى كانت تقدم الضحايا الإنسانية والقرابين البشرية قربانا للآلهة والموتى أن المتقرب إليهم يتخذون من هذه الضحايا وتلك القرابين عبيدًا وخدمًا لهم يسخرونهم فى قضاء حاجاتهم.

ووصمت بعض الأمم آلهتها بصفات القسوة وحب الدماء والتلذذ بمنظر إزهاق الروح. فكانوا يقدمون إليها الضحايا أو القرابين تهدئة لهذه الميول وإتقاء لشرها وتأمينًا على حياة الجماعات، كما يقدم صاحب القطيع بعض أفراد قطيعه للسبع لينجو هو ببقية أفراد القطيع[1].

ففى بلاد الرافدين قديمًا نجد أن كثيرًا من الآلهة كانت تسكن المعابد فى سومر حيث يقرب لها الوثنيون القرابين من مال وطعام وأزواج، وتنص ألواح جوديا على الأشياء التى ترتاح لها الآلهة وتفضلها عن غيرها، ومنها الثيران، والمعز، والضأن،

---

(١) راجع د/ على عبد الواحد وافى غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٨٠ دار نهضة مصر للطباعة والنشر للطباعة، بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٢٠ دارنهضة مصر.

واليمام، والدجاج، والبط، والسمك، والبلح، والتين، والخيار، والزبد، والزيت، والكعك.

ويستدل ول ديورانت من هذا الثبت على أن الموسرين من أهل البلاد كانوا يتمتعون بالكثير من أصناف الطعام وأن الكهنة قد أثروا ثراء ضخمًا من هذه القرابين حتى أصبحوا أكثر الطبقات مالا وأعظمها قوة فى المدن السومرية، وحتى كانوا هم الحكام المتصرفين فى كل الشئون[1].

ويذكر موسكاتى أن طقوس أرض الرافدين كانت بالغة التعقيد، حيث كانت تشتمل على تفصيلات محددة فى صرامة ودقة، وأن تقديم القرابين كان أشيع هذه الطقوس الدينية وأغلبها فى الاستعمال.

ويذكر أن القرابين كانت تقدم فى الغالب من الحيوانات والسوائل وكان الحمل والجدى أكثر الحيوانات استعمالاً فى هذا الصدد، وكان النبيذ والجعة واللبن والعسل والزيت أكثر السوائل استعمالاً، وكان القربان من الأضاحى أو غيرها يوضع على مذبح أمام تمثال الإله أو الآلهة، ويبدأ الحفل الدينى بالصلوات تصحبها بعض الطقوس العملية والرش بالماء المقدس، وكان أجزاء معينة من القرابين، مخصصة للإله أو الآلهة تحرق (أو تسكب) تكريمًا له أو لها، وكانت أجزاء أخرى تؤول إلى الكهنة[2].

وكانت تقدم للتماثيل الإلهية ـ عند البابليين ـ وجبتان من الطعام كل يوم فى معبد أورك، تقدم الوجبة الأولى الرئيسة فى الصباح عند فتح المعبد، وتقدم الوجبة الثانية فى المساء، واشتملت كل وجبة على وجبتين من الطعام هما "الرئيسة" و"الثانوية" ويبدو أنهما اختلفتا بالكميات المقدمة وليس بمحتوياتهما.

---

(١) راجع الشرق الأدنى ص ٢٩ الجزء الثانى من المجلد الأول من قصة الحضارة ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧١م.

(٢) راجع سبتينوموسكاتى. الحضارات السامية القديمة ص ٨٠ ـ ٨١ ترجمة د/ السيد يعقوب بكر نشر دار الرقى بيروت ١٩٨٦م.

وتظهر رسمية وطبيعة وعدد أوانى وجبة الإله التى اتصفت بها تماثيل آلهة بلاد ما بين النهرين نفس قدرات الإنسان[١].

وكانت توضع منضدة أمام تمثال الإله، ويقدم ماء الغسيل فى إناء، وتوضع عدد من الأوانى على المنضدة بترتيب وهى تحتوى على سائل وشبه سائل، إضافة إلى وضع أوان تحتوى على شراب، وتقدم شرائح اللحم كوجبة رئيسة. ثم تجلب الفاكهة إلى الداخل، ثم يتم حرق البخور لتشتيت رائحة الطعام، وعند الانتهاء من وجبة الطعام الرئيسية تنظف المائدة وترفع من الغرفة ويقدم ماء موضوع فى إناء إلى تمثال الإله لتنظيف الأصابع[٢].

وبالتطلع إلى القربان من وجهة النظر الدينية ـ كما يقول ليوا وينهايم ـ يكون هناك اقتراب نحو مركز نقطة خطيرة أخرى فى ذلك النظام المتداول واقتراب نحو استهلاك وجبة الطعام القربانية من قبل الإله، واقتراب نحو الاعتقاد الدينى لتلك التقديمات للمادة التى قدمت لذلك المصدر ذى القوة والسلطة والتى اعتقد بأن الإله بحاجة إليها[٣].

ولقد تطور نمط طقوسى متميز فى بلاد ما بين النهرين لكى يوضح الطبيعة الخفية لعملية تمثيل الطعام من قبل تمثال الإله، حيث كانت تحاط المائدة التى يوضع عليها الطعام، وكذلك يحاط تمثال الإله بستائر من الكتان ترفع فى الوقت الذى يفترض فيه أن يأكل الإله ما كان يقدم إليه، وترفع الستائر بعد انتهاء الوجبة ثم تسحب مرة أخرى عندما يغسل الإله أصابعه ـ وكان أى اتصال بين العالم المادى وعالم الإله مخفيًا عن عيون البشر[٤].

---

(١) راجع ليوا وينهايم: بلاد ما بين النهرين ص ٢٣٥ ترجمة سعدى فيضى عبد الرازق دار الشئون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦م.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٩.

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٠.

وكان تقريب القربان فى بابل من الطقوس المعقدة التى تتطلب خدمات كاهن خبير بشئونها، وكانت التقاليد المتوارثة تقرر كل عمل يعمل، وكل لفظ يقال، فإذا أقدم على هذا العمل شخص هاوٍ غير أخصائى فيه، ثم حاد قيد شعرة عن المراسم المقررة، فقد يكون معنى هذا أن تأكل الآلهة الطعام ولا تصغى للدعاء[1].

وفى مصر القديمة كانوا يحتفلون بتقديم القرابين: فوجبة الصباح التى تقدم للإله كانت تعد فى وقتها المحدد فترى الخدم ينطلقون فى المجاز إلى جانب القدس وبأيديهم صحاف رصت عليها ألوان الزهر والفاكهة، وفوق رءوسهم المرتفعة فى اتزان دقيق أحمال ثقيلة من الخبز أو اللحوم التى يشتهيها الإله، وجرار الجعة أو النبيذ التى سوف تروى ظمأه.

ويمضى ذلك الموكب متقدمًا إلى القدس يقوده كاهن يرتل بعض الأناشيد وتفتح أبوابه واحدًا بعد الآخر، وعند تقديم الطعام إلى رب المعبد ترتفع الأصوات داعية إياه أن يتقبلها.

وحين يبلغ الموكب رحبة المذبح التى تتوسط المعبد بالقرب من قدس الأقداس، يتوقف هذا المسير فيضع الخدم الصحاف على الموائد والمذابح، وينزلون جرار الشراب على حوامل تبلغ فى ارتفاعها النصف الأسفل من أجسادهم النحيفة ناثرين بين القرابين المتنوعة ألوانًا من الزهر والنبات الغض.

وينسحب حمالو القرابين، فيأخذ الكهنة فى تطهيرها يرشونها بالماء، ويحرقون من حولها البخور[2].

وتظل القرابين موضوعة فوق المذابح إلى أن يرضى الإله فيقبل الاستمتاع بها، وهنا يجىء الكاهن فيرفع صحفة الأمس الموضوعة فى القدس، ثم يمضى ليملأها من قاعة المذبح بالخبز والفطائر الحلوة الطازجة.

---

(١) ول ديورانت الشرق الأدنى ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) سيرج سونيرون: كهان مصر القديمة ص ٨٨ ترجمة زينب الكردى مراجعة د/ أحمد بدوى، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

وكانت تلك المجموعة الرمزية فقط هى التى تقرب من الإله لتمثل مجموعة اللحوم والحلوى والخضر والفاكهة التى تغص بها الموائد[1].

وحين يخال القوم ـ بعد وقت محدد ـ أن الإله قد شبع وشبعت معه أرباب أخرى من بلاطه فى معبده، توضع القرابين على المذابح أمام تماثيل ذوى المقامات العلا ممن حظوا بشرف إقامة تماثيلهم داخل النطاق المقدس، ثم ترد بعدئذ إلى المعامل حيث توزع طبقًا لنظام محدد بين مختلف كهان المعبد.

وهكذا كان يعيش السدنة الدينيون من تلك القرابين المخصصة للإله مستمتعين بحقيقتها المادية بعد ما شبعت روح الإله وأرواح الموتى فى زعمهم بجوهرها الروحى[2].

ويذكر ول ديورانت أن الكهنة فى مصر القديمة كانوا يحصلون على طعامهم وشرابهم من القرابين التى كانت تقدم للآلهة، كما كانت لهم موارد عظيمة من إيراد أطيان الهياكل، ومن صلواتهم وخدماتهم الدينية، وقد تطلب الدين المصرى الكثير التعقيد أن تقوم عليه طبقة بارعة فى فنون السحر والطقوس الدينية لا يمكن الاستغناء عن قدرتها وبراعتها فى الوصول إلى الآلهة، ومن ثم أصبحت طبقة الكهنة على مر الزمن أعظم ثراء وأقوى سلطانًا من أمراء الإقطاع ومن الأسرة المالكة نفسها[3].

---

(١) المصدر السابق ص ٩١ ـ ٩٢.

(٢) المصدر السابق ص ٩٢.

(٣) الشرق الأدنى ص ١٦١.

اعتقاد اليهود أن الله ينال من قرابينهم

وإذا كان الكهنة قد تمكنوا من خداع الناس فى هذه الديانات الوثنية حتى أوهموهم بأن الآلهة تأكل وتشرب وتحتاج إلى طعام وشراب ولابد من إمدادها بالغذاء بشكل مطرد ومنظم، ثم تفرغ هذه الأطعمة الكثيرة وتلك الأشربة المتنوعة التى أشرنا إليها آنفًا فى بطون هؤلاء الكهنة الدجالين.

إذا كان هذا قد تم فى الديانات الوثنية فإنه أيضًا قد وقع من اليهود فى الفترات التى كانوا يجاورون فيها الوثنيين ويتأثرون بوثنيتهم ويمارسون طقوسهم، وتغلب عليهم طبيعتهم المادية ويسود لديهم اتجاههم الوثنى المنبعث من تكوينهم الداخلى وبما جبلوا عليه من ميل إلى الشرك والوثنيات وضعفهم أمام الشعوب الوثنية وسرعة تأثرهم بهم وسهولة تقليدهم.

فالقرابين والضحايا كما وردت أحكامها فى كتب التوراة والتلمود ـ فيما يذكر الأستاذ العقاد ـ تحمل فى أطوارها كل بقايا التضحية للأرباب، فى الأديان التى قامت على عبادة الظواهر الطبيعية، ولاسيما ظواهر الفصول ومواسم الزراعة، فالقربان عندهم يكون تارة من بواكير الزرع وتارة من بواكير الحيوان فى مواسم الحصاد أو النتاج[1].

---

(١) راجع عباس محمود العقاد: الضحية فى مقارنة الأديان بحث منشور بمجلة منبر الإسلام ص ١٥ عدد ذى الحجة ١٨٣٢هـ/ مايو ١٩٦٣م.

بل يكون القربان الأكبر أحيانًا طعامًا مقدمًا إلى الإله لأنه يستسيغه ويشعر بالسرور لاشتمامه، ويكون فى كل حال هدية منتقاة من أطايب الذبيحة لكهان الهيكل وخدامه والمنتسبين إليه[1].

فتوارتهم المزعومة تنص على أن الضحايا "المحرقة" (وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت إشراف الكهنة ومعهم اللاويون (وقد سبق أن تحدثنا عنهم)، يرتاح لها الإله ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها، وإنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه فى صورة غير الصورة فى شريعتهم، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارًا تحرقهم، كما فعل مع ولدين من أولاد هارون لم يحسنا تقديم الأضحية إليه.

ومن ثم كانت طريقة حرق الأضحية وتصاعد دخانها هى الطريقة المقررة لديهم فى معظم أنواع الأضحية والقرابين، حتى فى قرابين النبات وما يصنع منه كالفطائر وما إليها[2].

ويرى ليوا وينهايم أن حرق القرابين كان بهدف تبدلها من ناحية واحدة ـ ناحية الوجود المادى ـ إلى أخرى التى أصبح الطعام فيها قابلاً للامتصاص من قبل الإله عن طريق رائحته[3].

ويذكر العقاد أن سفر اللاويين الذى خصوه بمراسم الهيكل والذبائح وحقوق الأحبار والكهان حافل بالتفصيلات التى تعرض لبيان أغراض القربان وأجزاء الذبيحة التى يرتضيها الرب ومقادير اللحم والشحم التى تفضل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د/ على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود ص ٣٩ دار نهضة مصر للطباعة والنشر الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ٣٠ ـ ٣١ دار نهضة مصر.

(٣) بلاد ما بين النهرين ص ٢٤٠.

على غيرها ولا تحل لأحد غير الكهنة أو غير الإله يتوسط الكهنة فى تقديمها إليه[1].

ويرى أن معنى القربان ـ البدائى والوثنى ـ ظاهر من هذه المراسم وهذه الخصائص التى ترتبط بالكهانة وبقايا الوثنية[2].

(١) هذا ويطلق الكاهن فى اصطلاح الكتاب المقدس على الشخص المخصص لتقديم الذبائح وكان من أهم واجبات الكهنة تقديم القرابين والذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية والخدمة فى الاحتفالات الدينية والتطهر، والعناية بالآنية المقدسة والنار المقدسة، والمنارة الذهبية، وغيرها ـ وكانوا ـ حسب ما ورد فى شريعة الأسفار الخمسة ـ يستولون على عشر الأعشار المقررة للقرابين، ولهم فداء الأبكار والرفائع، وباكورات المحصولات، وجزء من غنيمة الحرب، وخبز الوجوه ولحم التقدمات المقدمة أثناء خدمتهم فى الهيكل، وبالرغم من كل الامتيازات التى قررتها الشريعة لهم لم يلبثوا أن أهملوا واجباتهم الكهنوتية، بل لم يلبثوا أن انحرفوا عن الأخلاق القويمة والصفات الكريمة التى ينبغى أن يتحلوا بها، فضربوا أسوأ الأمثال للشعب متخذين من مهمتهم سبيلاً إلى إشباع جشعهم وطمعهم وإرضاء شهواتهم الجسدية ونزواتهم البهيمية بعد أن أصبحت لهم ثروات عظيمة من وراء كل الامتيازات المعطاة لهم والمنافع المخصصة لطائفتهم بل لقد تركوا الله وعبدوا الأصنام جاعلين من أنفسهم كهنة لها، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١ ـ ٧٩٥ زكى شنوده: المجتمع اليهودى ص ١٣٨ ـ ١٥٥.

(٢) الضحية فى مقارنة الأديان ص ١٥ ـ ١٦.

قضاء الإسلام على معتقدات الوثنيين واليهود

وحينما جاء الإسلام قضى على جميع هذه الأساطير وتلك الخرافات التى أشرنا إليها والتى شاعت عند الوثنيين، فقضى على جميع مظاهر الانحراف فى نظام الأضحية والقرابين وما التصق به من عقائد فى الملل والنحل السابقة له وبخاصة عند اليهود والعرب فى الجاهلية.

فقد جعل الإسلام الأضحية مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشكره على نعمائه التى أسبغها على عباده، وبخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وفرصة للإحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين.

وفى هذا يقول الله تعالى مبينًا بعض مناسك الحج وما ينحر فيها من ضحايا ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾[1].

ويقرر الإسلام أن الله تعالى لا يناله شىء من لحوم الأضاحى ولا من دمائها فيقول سبحانه ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن

---

(١) الحج: ٢٧ ـ ٢٨.

يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وفى هذا رد صريح على ما كان يزعمه اليهود وغيرهم من الوثنيين من أن الرب أو الإله يفيد من الضحايا لحومها ودمائها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها وأنه لذلك لا يصح أن يأكل الناس منها حتى تكون خالصة له[2].

فإذا ما قورنت مراسم التضحية اليهودية وطقوسها بما يقابلها من مناسك التضحية الإسلامية تبين منها كل ما هنالك من الفوارق الشاسعة بين صفة القربان ومعناه فى الديانتين.

فليس القربان فى الإسلام ثمنًا للغفران متعلقًا بواسطة الهيكل وكهانه وليس القربان الإسلامى طعامًا للرب ولا طعامًا لأحد من الوسطاء بين العبد وربه باسم الدين[3].

وليس فى التضحية الإسلامية معنى من معانى التقريب للظواهر الطبيعية فى مواسمها المعروفة للحصاد أو للنتاج.

وآيات القرآن الكريم الواردة فى هذا الشأن صريحة فى بيان أغراض التقريب ومراسمه وتنزيه الإله عن النيل منه طعامًا أو شميمًا يرتاح إليه سبحانه وتعالى[4].

---

(١) الحج: ٣٦ـ٣٧.

(٢) د/ على عبد الواحد وافى: بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٣٠ اليهودية واليهود ص ٣٩ ـ ٤٠ الأسفار المقدسة ص ٣١.

(٣) يذكر العقاد أن عبادات الإسلام قد امتازت بين عبادات الأديان بمزية لا نظير لها فى أرفعها وأرقاها بالنظر إلى حقيقتها أو بالنظر إلى جماهير المتدينين بها، وتلك مزيته البينة التى يرعى بها استقلال الفرد فى مسائل الضمير رعاية تتحقق لها فى نظام حياة، فالعبادات الإسلامية بأجمعها تكليف لضمير الإنسان وحده لا يتوقف على توسيط هيكل أو تقريب كهانه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٠١ دار نهضة مصر للطبع والنشر.

(٤) الضحية فى مقارنة الأديان ص ١٦.

يذكر ابن كثير أن الله تعالى يقول إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا لتذكروه عند ذبحها فإنه الخالق الرازق لا يناله شيء من لحومها ولا دمائها فإنه تعالى هو الغنى عما سواه وقد كان العرب فى جاهليتهم إذا ذبحوا لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ونضحوا عليها من دمائها فقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها)، ونقل عن ابن جريح قوله إن أهل الجاهلية كانوا ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى يتقبل ذلك ويجزى عليه كما جاء فى الصحيح "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[1].

ويقول الفخر الرازى "لما كانت عادة أهل الجاهلية على ما روى فى القرابين أنهم يلوثون بدمائها ولحومها الوثن وحيطان الكعبة بين تعالى ما هو القصد من النحر فقال (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم).

فبين أن الذى يصل إليه تعالى ويرتفع إليه من صنع المهدى من قوله ونحره وما شاكله من فرائضه هو تقوى الله دون نفس اللحم والدم، ومعلوم أن شيئًا من الأشياء لا يوصف بأنه يناله سبحانه فالمراد وصول ذلك إلى حيث يكتب يدل عليه قوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب).

وارتضى الرازى ما استدل به المعتزلة من هذه الآية على أن الذى ينتفع به المرء فعله دون الجسم الذى ينتفع بنحره وأنه سبحانه غنى عن كل ذلك، وإنما المراد أن يجتهد العبد فى امتثال أوامره[2].

فالقربان الإسلامى أو التضحية فى الإسلام بعيدة غاية البعد عن مراسم الوثنية وشعائر الكهانة، وليس على المسلم أن يقربها إلى الله ثمنًا للغفران ولكنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٢٣ ص ٣٧.

شكر لله وإحسان إلى الجياع والمحرمين وبرهان على التقوى والصلاح وهما كل ما يطلبه الإله من عبده تنزه سبحانه وتعالى أن يطلبه سرورًا برائحته أو فرحًا بمنظر الذبائح فى دمائها واستثارًا بالطيبات منها لمن يدعون الوساطة عنده والشفاعة لديه[١].

وليس فى الإسلام إلا طريقة واحدة للأضحية وتقديمها، وهى ذبحها ذبحًا شرعيًا وذكر اسم الله عليها، ثم التصدق بها أو بمعظمها أو ببعضها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجة[٢].

وأحل للمضحى أن يأكل من كثير من أنواع الأضاحى بل حث على ذلك ورغب فيه، وحرم الإسلام تحريمًا باتًا جميع الطرق الأخرى التى كانت متبعة عند اليهود والنحل الأخرى من قبله كالحرق والخنق وغيرهما[٣].

قال تعالى **"حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به والمنخنقة[٤] والموقوذة[٥] والمتردية[٦] والنطيحة[٧] وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب"**[٨].

---

(١) الضحية فى مقارنة الأديان ص ١٦.

(٢) راجع الحديث عن الأضحية فى الإسلام فى كتب الفقه مثل المغنى لابن قدامه والمحلى لابن حزم وبداية المجتهد لابن رشد وغيرهما من كتب المذاهب وراجع أيضًا كتب التفسير فى الآيات الواردة بشأنها كتفسير القرطبى وأحكام القرآن لابن العربى.

(٣) د/ على عبد الواحد وافى: بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٣١.

(٤) المنخنقة هى التى تموت خنقًا، وهو حبس النفس سواء فعل بها ذلك آدمى أو اتفق لها ذلك فى حبل أو بين عودين ونحوه.

(٥) الموقوذة هى التى ترمى أو تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية.

(٦) المتردية هى التى تتردى من العلو إلى السفل فتموت قبل أن تذكى أو فى بئر ونحوه.

(٧) النطيحة هى الشاة التى تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أن تذكى.

(٨) المائدة: ٣ راجع تفاصيل الأحكام الواردة فى هذه الآية ومذاهب العلماء فى تفسيرها فى كتب الفقه والأحكام وكتب التفسير كتفسير القرطبى جـ ٦ ص ٤٨ وما بعدها وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٦ وما بعدها.

وقد حرم الله من الذبائح ما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب لأن الله سبحانه أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم فمتى عدل بها عن ذلك وذكر اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع[1].

ولذلك فإن الإسلام يقرر أن الله وحده هو الذى يتقرب إليه المؤمن بأضحيته فقضى على العقائد والتقاليد التى كانت تتجه لغير الله بالضحايا كالتقرب للطواغيت أو لأرواح الموتى[2]، أو لأرواح القديسين والأولياء أو التزلف للأرواح الشريرة، وتهدئتها حتى لا تصيب الأحياء بأذى أو للكواكب أو قوى الطبيعة.. وما إلى ذلك، وأزال بذلك رواسب الشرك التى كانت يتخبط فيها العالم قبل ظهوره[3].

يقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[4].

فالله سبحانه يذكر أن الذبائح شعيرة معروفة فى شتى الأمم، لكن الإسلام يوجهها الوجهة الصحيحة حين يتوجه بها إلى الله وحده دون سواه.

ذلك لأن الإسلام يوحد المشاعر والاتجاهات، ويتوجه بها كلها إلى الله، ومن ثم

---

(١) راجع ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٨ ـ ٩.

(٢) لقد انتشرت عادة التقرب للموتى بالضحايا ابتغاء مرضاتهم وخشية غضبهم على الأحياء عند طائفة كبيرة من الأمم الإنسانية قديمها وحديثها، وبخاصة عند قدماء المصريين ومن الغريب ـ فيما يقول الدكتور على عبد الواحد وافى ـ أن آثار هذه العبادة قد ظلت باقية إلى عصرنا الحاضر. فكثير من المصريين عوامهم وخواصهم فى عصرنا الحاضر يرى من الضرورى أن تذبح ضحية أو ضحايا من العجول أو الخراف أو كليهما تحت نعش الميت عقب خروجه من منزله إلى حيث يوارى التراب، وهذا أثر من آثار الشرك يتعارض كل التعارض مع مبادئ ديننا الحنيف، ومجانب لقواعد الإسلام وتعاليمه، وراسب من رواسب عبادة الموتى والتقرب لأرواحهم.
(راجع غرائب النظم ص ٧٩ ـ ٨٠ بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٣٢).

(٣) بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٤) الحج: ٣٤.

يعنى بتوجيه الشعور والعمل، والنشاط والعبادة، والحركة والعادة، إلى تلك الوجهة الواحدة، وبذلك تصطبغ الحياة كلها بصبغة العقيدة.

ومن هذا المنطلق حرم من الذبائح ما أهل لغير الله به، وحتم ذكر اسم الله عليها حتى ليجعل ذكر اسم الله هو الغرض البارز، وكأنما تذبح الذبيحة بقصد ذكر اسم الله[1].

وجاء فى تفسير المنار أن المراد بما أهل لغير الله به ما ذبح على ذكر غير الله تعالى من المخلوقات التى يعظمها الناس تعظيمًا دينيًا، ويتقربون إليها بالذبائح، وكل ما يذبح ويقدم للأصنام أو غيرها مما يعبد، والتحريم فى ذلك لسبب دينى محض لحماية التوحيد، لأنه من أعمال الوثنية، فكل من أهل لغير الله على ذبيحة فإنه يتقرب إلى من أهل باسمه تقرب عبادة، وذلك من الإشراك والاعتماد على غير الله تعالى ويدخل فيما أهل لغير الله ما ذكر عند ذبحه اسم نبى من الأنبياء أو ولى من الأولياء[2].

---

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن جـ ١٧ ص ٢٤٢٢ ـ ٢٤٢٣.

(٢) راجع الجزء الثانى ص ٨٠ والجزء السادس ص ١١٣.